

## الحقوقيات في السعودية يواجهن خطر الإعدام



علي آل غرّاش

ملف قضايا الحقوق والحرفيات في السعودية شهد تطوراً كبيراً وكانت له أصداء دولية وبالخصوص بعد حملة الاعتقالات الأخيرة للنشطاء والحقوقيين من الجنسين وبالذات النساء، حيث تحول ملف اعتقال النساء إلى مادة مثيرة لوسائل الإعلام، تتصدر الأخبار العالمية وتشغل المؤسسات الحقوقية، وقضية مهمة لدى الدول التي تدعم الحريات على مستوى العالم، لدرجة أن ملف الحراك النسائي تحول إلى مادة لإثارة أزمات دولية إلى حد قطع العلاقات السياسية بين السعودية وبعض الدول كما حدث مع كندا.

لماذا كل هذه الحملات؟

يمارس العهد السعودي الجديد في ظل ما يعرف برؤية 2030 التطويرية الذي صرف مبالغ طائلة للترويج لتلك الرؤية وتسويقها عبر مؤسسات عالمية للعلاقات العامة والإعلان والدعاية، وكانت لها أصداء إعلامية في وسائل الإعلام الدولية بأن المملكة الجديدة هي دولة دون تشدد بل قائمة على الانفتاح والحداثة، يمارس على أرض الواقع، داخل المملكة ما يخالف كل ما يتم الإعلان عنه وتسويقه.

فقد شهدت البلاد بعد الإعلان عن الرؤية حملات اعتقالات واسعة ضد رجال الأعمال والشخصيات الاقتصادية، واعتقالات واسعة ضد الكتاب والمنقذين والنشطاء والحقوقيين، كما شهدت حملة غريبة في تاريخها باستهداف النساء بالاعتقال التعسفي والملحقات والتعذيب إلى درجة التلويع بالإعدام بسبب نشاطهن الحقوقي السلمي.

لقد استطاعت المرأة في السعودية أن تؤكد وجودها وقوتها وتأثيرها، رغم سياسة السلطة التي جعلت منها إنساناً مهمناً محروماً من حقوقه، وتحت سيطرة الرجل المحرم من حقوقه والمهمش في دولة لا تؤمن بالانتخابات والدستور، المرأة تتطلع لانتزاع الحقوق بأي طريقة رغم غياب حرية التعبير عن الرأي والتعديدية، وغياب أي مؤسسات أو أعراف بأي أحزاب سياسية أو حقوقية أو مدنية وفي ظل نظام صارم لا رأي إلا رأي السلطة الحاكمة التي تحكم بالحديد والنار والدم.

ممنوع التعبير عن الرأي أو التظاهر أو الاحتجاج ومن يفعل ذلك فهو مجرم حسب القانون ويطبق عليه أقسى العقوبات باسم الدين. فالحرث الإصلاحي الإسلامي يتواصل رغم حملات الاعتقال والسجن والإعدام للعديد بسبب التعبير عن الرأي والاحتجاج الإسلامي.

وخسر العهد الجديد في البلاد كل ما كسبه خلال الحملات الإعلامية التي كلفته المليارات لتلميع مشروع رؤية 2030، وحرق كل المكتسبات الإعلامية التي صاحبت حملة قيادة المرأة للسيارة حيث كان اهتماماً إعلامياً واسعاً بالمناسبة وتحولت إلى حد عالمي وقد تغنت به الوسائل الإعلامية الحكومية لفترة طويلة، وذلك من خلال الاعتقالات التعسفية الواسعة وبالخصوص ضد النساء الأكاديميات والحقوقيات والناشطات، حيث وجد الإعلام الغربي مادة أكثر إثارة تختلف ما تروج له السلطات السعودية من انفتاح وإعطاء المرأة حقوقها.

لقد تمكنت المرأة السعودية أن تفرض وجودها وأن تكون في طليعة اهتمام الوسائل الإعلامية الغربية والعالمية المتعطشة لرصد أخبار المملكة وبالخصوص حول النساء، كما هي عادة هذه المؤسسات التي تهتم أكثر بشؤون النساء بعد عقود من الزمن من التغييب والتهميش وغياب الحقوق والحريات، وبروز ناشطات وحقوقيات بفضل جهودهن ونشاطهن عبر وسائل إعلام التواصل الاجتماعي، وطرح فضلياً حية بطريقة مميزة ومؤثرة وبسقف عالي، مما أدى إلى انزعاج النظام الرسمي.

## حضور وتميز

ويعبّر المجتمع السعودي من التهميش والتغييب، فالموطن الرجل رغم أن المجتمع يقال عنه ذكوري، إلا أن حقوقه مسلوبة ولا يتمتع بأي حرية أو حصانة، فهو مغيب عن المشاركة في اتخاذ أبسط القرارات المصيرية - فتلك قرارات بيد الملك وعائلته فقط -، والنساء هن الأكثر تغييباً وتهميشاً طوال العقود الماضية منذ تأسيس المملكة عام 1938.

لكن نتيجة اهتمام الإعلام الغربي بملف وقضايا المرأة النسائي ورصد نشاطهن الملفت عبر برامج التواصل فقد تحول هذا الحراك إلى قوة مخيفة للنظام في ظل تضامن العديد من المؤسسات الحقوقية والإعلامية ومؤسسات بعض الدول بملفهن وقضاياهن، ومن خلال ذلك أصبحت المرأة السعودية أكثر قوة وتأثيراً وتحظى باهتمام إعلامي عالمي وقد تجلّ ذلك، في قضية المطالبة بقيادة السيارة وحرية السفر والعمل وبعد الاعتقالات الأخيرة للناشطات والحقوقيات.

ومن المعروف أن النظام السعودي نظام شمولي لا يقبل بأي رأي ينتقد سياساته وقراراته، وليس من السهل أن يتراجع عن أي قرار داخلي يتعلق بالشعب بسهولة، ولقد أرغم على السماح للمرأة بممارسة حقها الطبيعي بقيادة السيارات نتيجة الحراك النسائي والتحصيات الكبيرة كمسيرة السيدات في السادس من تشرين الثاني/نوفمبر 1990 اذ تعرضن للاعتقال وتشويه السمعة وطردهن من العمل، وتكررت هذه القضية في الإعلام العالمي وسيت حرجا شديدا للسلطة.

ومن خلال ذلك أصبحت توصف بالدولة الرجعية والمتخلفة والمتشددة، لم تنفعها حملة رؤية 2030 وصرف الأموال الطائلة ورفع شعارات الانفتاح وفتح المجال لبرامج الترفيه وفتح دور سينما، ولقد حاولت سلطات الرياض الاستفادة من قرار رفع حظر منع النساء من قيادة السيارة واستغلال وسائل الإعلام التي غطت الحدث لمدح وتمجيد السلطة، على أساس أنه جزء من رؤية 2030 في ظل تغيب الجهود والتحصيات التي قام بها النشطاء والناشطات، والخروج بمظهر الدولة الحضارية والمتقدمة.

وسحب أهم قضية مثيرة من تحت بساط النشطاء والناشطات بالتحديد، حيث أن الحكومة تتوقع أنها بعد رفع الحظر قد قشت على أي سبب لوجود حراك نسائي، ولكن استمرار الحراك بطرح قضايا حقوقية جديدة أزعج السلطة جدا فغضبت وشنّت حملة اعتقالات واسعة ضد التحصيات والناشطات.

وتمنع الحكومة الأزمات دائما، حيث أن قراراتها بمنع المرأة من القيادة هو أساس المشكلة الاجتماعية لتحرك النشطاء والناشطات للمطالبة بقيادة السيارة، وعدم وجود حرية وانتخابات في مجلس الشورى هو الذي يجعل الحقوقين والحقوقيات يطالبون بالحرية والتعددية والانتخابات المباشرة، وقيام السلطة بالاعتقالات التعسفية هو الذي يصنع الأزمة والمشكلة، وليس المشكلة في المطالبات الاجتماعية بالحق. سياسة الحكومة هي السبب في وجود المشاكل والأزمات الوطنية، فهي المسئولة عن إصدار القوانين والأنظمة، عموما وقيادة المرأة للسيارة هو حق لها قد تأخر نحو 250 سنة من صناعة السيارة وقد تحقق بعد تحصيات كبيرة جدا، وهو حق بسيط جدا أمام الحقوق الأكثر والأعظم تتطلع المرأة الحصول عليها. وحتما الحراك المطلبي من قبل الرجال والنساء سيتواصل في ظل الوعي وبالخصوص لدى المرأة بالجانب الحقوقي والحربيات.

## واقع النشاط النسائي

شهدت السعودية منذ 2011 حراكا وحضورا مميزا من قبل الشباب حيث أن 70 في المئة فيها تقل أعمارهم عن 30 سنة، وهذه أكبر شريحة عربية تستخدم برامج التواصل الاجتماعي، وقد وجد الشباب السعودي من الجنسين وبالخصوص النساء عبر برامج العالم الافتراضي مجالا واسعا وساحة مفتوحة لطرح القضايا النسائية والوطنية التي تتعلق بالحقوق والحربيات في ظل غياب أي منبر أو مؤسسة مدنية على أرض الواقع داخل البلاد حيث يمنع تأسيس مؤسسات أو جمعيات أو نقابات أهلية.

واستطاعت المرأة أن تستغل التقنية الجديدة للتعبير عن آرائها والمطالبة بحقوقها بصوت مرتفع،

وقيادة الحملات عبر وسائل التواصل كالالمطالبة بقيادة السيارات والحربيات والحقوق وعدم الاعتداء والاعتقال التعسفي، وشهد الحراك النسائي تصاعداً ملفتاً ومؤثراً كانت له أصوات داخل البلاد والخارج، فقد استطاعت المرأة السعودية المهمة بالنشاط الحقوقي والحربيات أن تكون على معظم القنوات الفضائية العربية والعالمية للتحدث وتناول الملف الحقوقي والحربيات في السعودية وأن تتحدث عن رؤيتها وتطلعاتها والمشاركة في المؤتمرات الدولية وأن تحصل على التقدير في العديد من دول العالم كالناشطة الحقوقية المعقلة حالياً سمر بدوي التي تم تكريمتها من قبل وزيرة الخارجية الأمريكية والغريب أن الإدارة الأمريكية لم تتحرك للدفاع عنها بعد اعتقالها.

نجاح الحراك النسائي في إدارة برامجهن المطلبية الحقوقية بسلمية بعيداً عن المسميات أو التيارات الحركية أو الحزبية سياسية أو دينية، وتحقيق نتائج قوية للحملات التي يتم طرحها عبر برامج التواصل، والمطالبة بالحقوق وتفاعل المجتمع بعمومه، أدى إلى رفع سقف المطالب عند النساء وطرح الابتكار في طرح الحملات والبرامج، والوصول إلى إثارة الرأي العام وصناعة رأي الشارع. والمميز أن الحراك النسائي شهد تفاعلاً من قبل جميع الشرائح النسائية من كل الأطياف والمناطق أي ان الحراك تجاوز الحالة الطائفية والمناطقية والطبقية.

كما كان للنساء دور في المظاهرات والاحتجاجات من خلال الرصد والنشر والتوصير، والكتابة حول الفعاليات بطريقة وأسلوب مهني، هذا الحراك الجديد القوي أربك السلطة وأفراد مؤسستها الأمنية. فمارست أولاً أسلوب الترهيب من خلال اعتقال الرجال من الآباء أو الأزواج أو الأبناء وكتابة تعهد بأن لا تمارس البنت أو الزوجة الكتابة، هذا الأسلوب نجح مع الرجل حيث شهد الحراك الرجالي تراجعاً بعد حملات الاعتقال والتهديد والضغوط، ولكن الحراك النسائي استمر أكثر قوة والحكومة التي كانت تتظاهر باحترام العادات والتقاليد بعدم استهداف النساء بسبب التعبير عن الرأي.

ورغم بذلها محاولات للسيطرة على الحراك النسائي الإسلامي، لم تتمكن من السيطرة فقامت سلطات الرياض المنزعجة من الحراك باستهداف النساء عبر حملات اعتقالات تعسفية واسعة وبذلك خلعت قناع التظاهر باحترام العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية بعدم الاعتداء على النساء لأنه يُعتبر اعتداء على العرض والشرف.

#### اعتقادات تعسفية

لم تتحمل سلطات الرياض إصرار النساء على الحراك والمطالبة بالحقوق مما يعني إهراجاً لها، لهذا قامت بفتح ملفات أي ناشطة عبر برامج التواصل أو الإعلام لمحاسبتها، ومن خلال ذلك اعتقلت نساء من كل المدن والمناطق والطوابئ والتيارات منها: إسراء الغمام وهتون الفاسي ونعيمة المطرود وعزيرة اليوسف وفاطمة النصيف ولجين الهذلول وإيمان النجاشي ونوف عبدالعزيز ونور المسلم ونسيمة السادة ومياء الزهراني وسمير بدوي وأمل الحربي وغيرهن، على خلفية نشاطهن الحقوقي الإسلامي.

اعتقالات كان لها ردود فعل في الخارج - وصمت داخل المملكة نتيجة الخوف من الاعتقال - وما زالت لغاية اليوم ردود الفعل التي تندد وتستنكر حملات الاعتقال تتواصل من قبل المؤسسات والجمعيات الحقوقية الدولية والأهلية ومن قبل الدول مثل كندا التي نددت باعتقال الناشطة نسيمة السادة وسمر بدوي زوجة المعتقل الحقوقى المحامى وليد أبو الخير منذ خمس سنوات تقريباً وشقيقة المعتقل الناشط رائف بدوى، وبسبب ذلك غضب الرياض وقطعت علاقتها الدبلوماسية مع أوتاوا.

وطالما كانت السعودية سبباً في قطع العلاقات الدبلوماسية بينها وبين العديد من الدول المؤثرة الغربية. فقد اندلعت أزمة مع لندن في بداية 1980 بسبب عرض فيلم سينمائي عنوانه «موت أميرة» على أحد القنوات البريطانية، ويتناول قصة إعدام الأميرة مشاعل حفيدة الأمير محمد بن عبد العزيز. عرض الفيلم أغضب الرياض وقادت بسحب سفيرها وطردت سفير بريطانيا وشنّت حملة ضد لندن وقطعت علاقتها لأربعة أشهر تقريباً.

### اعدام الحقوقيات

هناك قلق شديد من أن يؤدي غضب الرياض إلى إعدام بعض المعتقلات بسبب التعبير عن الرأي، حيث طالبت النيابة العامة مؤخراً بإعدام الناشطة الحقوقية السلمية المعتقلة إسراء الغمام، وقدّمت النيابة اتهامات صدّها تتعلق بالنشاط والحرّاك السياسي والمطّلبي والتطاھر والتّصویر وكافة الاتهامات المقدمة ضدها تتعلق بالتعبير عن الرأي، ولو أقدمت الرياض على إعدامها فستكون هذه أول عملية إعدام لامرأة بسبب التعبير.

وتم اعتقال الغمام في 8 كانون الأول/ديسمبر 2015 بمداهنة شقتها واعتقالها مع زوجها الذي ما زال معتقلاً. وهي أول امرأة تعتقل بتهمة ممارسة النشاط السياسي خلال الأعوام الخمسة الأخيرة. ولم يعلم أحد باعتقالها إلا بعد انقضاء يومين. وفي 6 آب/أغسطس الماضي عقدت جلسة لمحاكمة الغمام دون وجود أي محامي حيث طالبت النيابة إصدار حكم الإعدام، والجلسة الثانية ستعقد في 28/10/2018. وقد شهدت برامج التواصل الاجتماعي حملات تندد بالمحكمة، وعبرت الجمعيات الحقوقية في العالم عن قلقها الشديد على سلامتها كما عبرت كندا عن استنكارها. وفي الأثناء يتّنامي قلق شعبي محلي وعالمي من أسلوب الرياض في معالجة الأزمات الداخلية عبر القوة، شعار العهد الجديد.

علي آل غرّاش - كاتب سعودي  
المصدر | القدس العربي